أوائل المسلمين
٥
إسلام
النجاشي
بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام النجاشي

بقلم
السيد شحاته

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهْتدى بَهدْيِهِ إلَى يَومِ الدِّين .

وبَعْد :

فَهذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئُ العَزيزُ . لصَفوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْر هذه الدَّعوة المبَاركة .

وقد جاءتْ رائعةَ الأُسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يسْتَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التَّارِيخ الإسلامى العظِيمِ .

والله ولىُّ التوفيق

المسلمون يُعذَّبون فى مكة

جَهَرَ رسُولُ الله صَلواتُ الله عَليه بالدَّعوة ، مُطيعًا أمْرَ ربِّهِ :

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

ومُنذُ أنْ جَهَرَ بِهَا اشْتدَّ إيذاءُ الكُفَّار لهُ ، وتَوالتْ صُنوفُ الأذَى عَلى أنْصارِه وأعْوانِه . ومِنَ المسْلمِين مَنْ وَجَدَ لَه مُعينًا يَحْميه ، ونَصيرًا يدْفَع عَنهُ الأذَى ، ومِنْهم مَنْ كانَ ضَعيفًا مِسْكينًا ، لايجدُ لَه مُحاميًا ، ولا مُعينًا .

وكانَ إيمانُهم باللهِ ورسُولهِ شَديدًا ، وكانَ اتِّباعُهُم للدَّعوةِ المبارَكةِ أصيلاً ، تَغلغلَ الإيمانُ فى قُلوبِهم ، وهانَتْ عَليهم فى سَبيلهِ أهلوهُم وأوْطانُهم ، فَتطلَّعُوا إلى أوْطانٍ أخرَى ، يَجدُون فِيها مُستَقرًّا ، يطْمئنُّونَ فيها ، ليعْبُدُوا اللهَ ، بَعيدِينَ عنْ كلِّ أذًى وخَوفٍ .

تَطلَّعوا إلَى أنْ يَعبُروا البَحْرَ ، ناجِينَ بدينِهم ، ومتَّجهينَ إلى بلادٍ يجدُونَ فِيها الأمانَ .

إلـى مـلـكٍ عـادلٍ

وكانَتْ أخبارُ الحبشةِ ، تَترامى إليْهم ، وتنْتقل إلى أسماعِهم ، كانُوا يعْرِفون أنَّ عَلى الحبشةِ ملكًا لَبيبًا ، حَازمًا ، عادِلا ، ذكيًّا .

لَم يَصِلْ إلَى كُرسيِّ المُلْكِ إلاَّ بعدَ أنْ لاقى الشِّدةَ والهوانَ .

وممَّا عَرفوهُ مِنْ أخْبارِه : أنهُ كانَ وَليَّ عهدٍ للحَبْشة ، ولكنَّ الأحْباشَ قتلُوا أباهُ الملِكَ ، وولَّوا عمهُ عَلى المُلْكِ ، وأبعدُوه ، لأنَّهمْ خافُوا أنْ يَقفَ أمَامَ أطماعِهِم ، ويُجبْرهم عَلى الْتزامِ الحقِّ ، واحْترامِ العَدلِ ، وعَلمُوا أنَّ شَخصِيَّتهُ القَويّة وذَكاءهُ وعدَالَتهُ ، كلُّ ذلكَ لابدَّ أنْ يَقفَ كُلُّ إنْسانٍ عِندَ حَدِّه ، وأنْ يَفْصِلَ فى الأُمورِ بعقْلٍ رَاجحٍ ، وبَصيرةٍ عَادلةٍ .

رَأى وُجهاءُ الأحْباشِ ، وزُعماؤهم مَكانةَ هذا الفتَى ، وامْتيازَه ، وتَفوُّقهُ عَلى كلِّ أبناءِ الملُوكِ ، فَتخوَّفُوا أن يُملَّكَ عَليهِم ، ولا سيّما أنَّهم قتَلُوا أباهُ مِنْ قَبلُ ، ولرُبَّما نكَّل بِهِم ، وعذَّبهمْ ، فَعمِلوا جَهْدَهُم ، ليُبعِدوهُ عَن الملْكِ .

فَمشَوْا إلَى عَمِّه فقَالُوا :

– إمَّا أنْ تقتُلَ هَذا الفتَى ، وإمَّا أنْ تُخرجَه مِن بِلادِنا ، فإنَّنا نَخافُ مِنْهُ عَلى أنْفُسِنا .

فقالَ المَلكُ لَهمْ :

– ويْلَكم ! ! قَتلتُ أباهُ بالأمْسِ ، وأقتُلهُ اليومَ ! !

بَلْ أُخْرِجُه مِنْ بلادِكُم .

وفعْلاً نَفَّذوا عزْمهم ، وأخْرجُوهْ مِنَ البِلادِ .

وبَعد ذَلكَ أُصِيبَ عمُّه إصَابةً قَاتلةً ماتَ فِيها ، فَفزِعتِ الحَبَشةُ إلَى أوْلادِه ، فإذا كلُّ واحدٍ مِنْهم لايصْلُح للْمُلْكِ ، لَيسَ فى وَاحدٍ مِنْهم خيرٌ ولا أملٌ ، واضطَربتْ أمُورُ الرَّعيةِ ، وثارَت الفِتْنةُ فى أرْجَاءِ البِلادِ .

واجْتمعَ زُعماءُ البِلادِ وأهْلُ الرَّأىِ فيهَا مرَّةً أخْرَى ، وقالَ بعْضُهمْ لبعْضٍ :

– لَقَد كانَ رَأيكُم مخطئًا حِينَما أخرَجتُم النَّجاشىَّ مِنَ البِلادِ وأبْعدتُموهُ حتَّى لا يَكونَ مَلكًا ، وإنَّ البلادَ – واللهِ – لا يستَقيمُ لَها أمرٌ ، ولا يطْمئنُّ لهَا حَالٌ ، إلاَّ إذَا رجَعَ هَذا الفتَى ، فَهوَ الحازمُ الذِى يَستَطيعُ تَدبيرَ أمْرِ المُلْكِ .

وأقْبَل بعْضُهم يلُومُ بَعضًا عَلَى ما ارْتَكبوهُ ، فى حقِّ
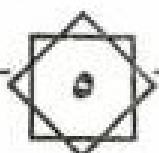
النَّجاشيَّ ، فخرجُوا فى طَلبهِ مِنَ البِلادِ الَّتى خَرجَ إليها ، وعَملُوا كلَّ ما فى وسْعْهِم حتَّى أرْجَعُوه ، ومَلَّكُوهُ عَليهِم .

سارَ النَّجاشىُّ بعدَ ذلكَ فى حُكْمه عَلى خَيرِ سِياسةٍ ، يشْكُر رَبَّه ، ويَعدلُ بينَ رَعيَّته ، ويُكْرم الغَريبَ ، إذا نزلَ بهِ ، وكانَ يقولُ :

– ما أخذَ اللهُ الرِّشوةَ منِّى فآخذَ الرِّشْوةَ منهُ ، ومَا أطاعَ الناسَ فىَّ فأُطيعَ الناسَ فيهِ .

الـدَّعوة فـى مَكَّـة

اسْتمَرَّت قريشٌ تُراجعُ النَّبىَّ . ليتْركَ دِينَه ، ويُقْلع عَن دَعوته الجَديدة ، تَارةً بالتَّرغيبِ ، وأُخْرَى بالتَّرهيبِ ، والنَّبىُّ عَليهِ السَّلامُ دَائبٌ علَى دَعوته ، مُجِدٌّ فى نَشْر دِينِ الله .

يُراجعُ قُريشًا ، ويُجادلُها ، ويُسفِّه مُعْتَقَداتِها ويَحُطُّ مِن شَأن آلِهَتِهَا ، ويُحاولُ أَنْ يأْخُذَ بِيدِهم إِلَى الطَّريقِ السَّليمِ .

* * *

يئِسَتْ قُرَيشٌ مِنَ النَّبىِّ ، وأخذَتْ تَعتدى عَلَى مَنْ أسْلَم

مَعهُ ، ممَّن اتبعَ الدِّينَ الجديدَ ، يحْبسونَهُم ويُعذِّبونَهم ، بالضَّربِ ، والْكَيِّ بالنَّارِ ، والجُوعِ . والعَطَش .

ويا وَيْل مَنْ يضْبطُونهُ مِنْهم ، وهُو يُصلِّى أوْ يقْرأُ القُرآنَ ، أوْ يَعبدُ اللهَ عَلى دينِ محمَّدٍ ! ! هُنالِكَ سينالهُ مِنَ الأذَى شَيءٌ كَثيرٌ .

* * *

رَأى رسُولُ اللهِ عَليهِ السَّلامُ ما يُصيبُ أصْحابَه مِنَ البلاءِ العَظيمِ ، ولمسَ مَاهُم فيهِ مِنَ الكَرْب ، عَلى حينِ أنَّه فى عَافيةٍ وسَلامَةٍ ؛ لنَصْر اللهِ إيَّاهُ ، ولتأْييد عمِّه أبِى طالبٍ لَه ، وردِّ خُصومِه عَنهُ ، فقالَ لأصْحابهِ :

لَوْ خَرجْتُم إلَى أرْضِ الحبشَةِ ، فإنَّ بِهَا مَلكًا لا يُظْلَم عِندهُ أحَدٌ ، وهِيَ أرْضُ صِدقٍ ، حتَّى يَجْعلَ اللهُ لكُم فَرجًا ممَّا أنْتُم فيه .

هجْرَةٌ

خَرجَ المسْلمونَ – بَعد إذْنِ النَّبِى لَهُم – مُهاجِرِين إلَى أرْضِ الحبَشةِ ، مخَافَةَ الفِتْنةِ ، وفِرارًا إلَى اللهِ بدينِهِمْ ، واتِّقاء طُغْيان قُريشٍ .

مِنْهم مَنْ خَرجَ بنَفْسِه ، لا أهْلَ مَعهُ ولا وَلَد ومِنْهُم مَنْ خَرجَ

بأهْلِه . واجْتمعَ شَملُ المهاجِرِينَ بأرْضِ الحبشةِ ، وأمِنُوا عِند النَّجاشيِّ ، الذِى أحْسَن لَهُم الجِوارَ ، وأفاضَ عليهِم مِنْ كرمِهِ وبرِّهِ ، حتَّى قَامَ عبدُ اللهِ بنُ الحارثِ يدْعُو المسْلمينَ إلى الهِجْرة إليهِ ، ويقولُ إنَّ أرْضَ اللهِ واسِعةٌ ، وفيهَا نَجاةٌ مِن الذُّلِّ والخِزْى ويقُول :

إنَّا وَجَدنا بِلادَ اللهِ وَاسعةً
تُنْجِى مِنَ الذُّلِّ والمَخْزاة والهُونِ
فلا تُقِيمُوا عَلى ذُلٍّ فى الحياةِ وخِزْيٍ
فى المماتِ ، وعَيبٍ غَيرِ مأمون

* * *

أمِنَ المُسلمونَ فى أرْضِ الحَبَشَةِ الَّتى هاجَروا إلَيْها واطْمأنُّوا بجوارِ النَّجاشيِّ العَادلِ البرِّ الرَّحيمِ ، ورأَوا أنَّ الأذَى والشرَّ قد بَعُدا عنْهم بَعد أنْ فارقُوا أرْض قُريشٍ ، وهاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إلَى أرْضِ الحَبَشَةِ الَّتى هِىَ « أرضُ صِدْقٍ » كَمَا وصَفَها رسُولُ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ وسَلامُهُ .

أذى جديد

رأتْ قُريشٌ أنَّ أصْحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أمِنُوا ، واطْمأنُّوا ، بأرْضِ الحَبَشة ، وأنَّهمْ قد وجَدُوا بِهَا دَارَ استْقرارٍ وأمَانٍ .

فَرأتْ أنْ تَبعثَ مِنْها برَجلَيْن قَويَّيْنِ إلَى النَّجاشيِّ مَلكِ الحَبشةِ ، يُكلمَّانِه فى أمْرِ المهَاجِرينَ ، حتَّى يطْرُدَهُم ، ويُرجعَهمْ إلَى بِلادِهم ، ويُسَلِّمهم إلَى قَومِهِم مِنْ قُريشٍ ، لِيُذيقهُم العذَابَ ، كَما كانُوا .

* * *

بعَثتْ قُريشٌ برَجُليْنِ مِنْهمْ ، هُما : عبدُ الله بنُ أبي رَبيعَة وعَمْرو بنُ العاصِ ، وحمَّلُوهُما هَدايا كَثيرةً إلَى النَّجاشيِّ ، وإلَى وُزرَائه وقالُوا لَهما :

– ادْفعُوا إلَى كُلِّ وَزيرٍ هَديَّته ، قَبْل أنْ تُكلِّما النَّجاشيَّ ، ثمَّ قَدِّمَا إلَى النَّجاشيِّ هَداياهُ ، حتَّى لا يأْخذَ رَأىَ المسْلمينَ فى إعَادتِهم إلَينَا .

* * *

قَدِمتْ رسُلُ قُريشٍ عَلى النَّجاشيّ ، والمسْلمونَ عِندهُ فى أكْرمِ جوارٍ ، وأخَذَ الرُّسولانِ : عَبْد الله ، وعَمْرو ينْفردانِ بالوُزراء ، واحِدًا بَعَد واحدٍ ، ويُقدِّمونَ لِكلٍّ واحدٍ رشْوتَهُ وهَداياهُ الَّتى حَملوهَا إليه .

وأخذَ الرَّسُولانِ يقُولانِ لوُزرائه :

– إنَّه قَدْ لجأَ إلَيْكم غِلْمانٌ سُفهاءُ ، فارَقُوا دِينَ قَومِهِم ، ولَم يَدخُلوا دِينكُم ، بَل جاءُوا بدينٍ مُبْتَدَعٍ ، لا نَعرفُه نَحنُ ولا أنتُم ، وقَدْ بَعثَنا أشْرافُ مَكَّة ، لتَردُّوهُم إليهِمْ ، فإذا كلَّمْنا الملكَ فى شأْنهم فأشيرُوا عليهِ : بأنْ يُسلِّمَهمْ إليْنا أوْ يَطردَهُم مِن ديارِه إلَى ديارِ قَومِهِم ، عَلى ألاَّ يُناقِشَهم ، ولا يَسْألهم شيْئًا مِنْ أمْرِهم لأنَّهمْ كاذِبون مُضَلِّلونَ .

فَوعدُوهُم بالموَافقَة عَلى ذَلكَ ، ومُساعَدتِهما فى كلِّ ما يُريدَانِ .

* * *

تَقدَّم عَبدُ الله وعمرو إلَى النَّجاشيِّ ، فقدَّما لَه التَّحيةَ ، الَّتى كانَ يُقدِّمها لَه أبناءُ رَعيَّتهِ : سَجَدا أمامهُ ، وعَظَّماه ، ووقَفا مَوقفَ الذُّلِّ والاستِجْداء ، ثمَّ قدَّما لَهُ الهدَايا الَّتى حَملاهَا إليهِ .

ثمَّ قالاَ لهُ مَا قَدِما مِنْ أجْلِهِ ، وهُو : أنَّ نَفَرًا مِنْ قَومِهِم عَاصِينَ ، فارِّينَ ، خَرجُوا إلَى بِلادِهِ ، وأنَّهمْ جاءُوا ورَاءهُم يطْلُبون تَسْليمَهم ، ورَدَّهم إلَى قَوْمِهِم .

والوُزراءُ واقِفُون مِنْ حَوْلهِمَا ، يؤمِّنانِ عَلى كَلامِهِمَا ، ويُشيرُونَ عَلى المَلكِ بتَسْليمِ المهَاجِرين إلَيْهما .

فغَضِبَ النَّجاشىُّ ، وقالَ :

– لاَ ، واللهِ ، لا أُسلِّمهم إلَيْهما ، إنِّى لا أُسلِّم قَومًا جَاوَرُونى ، ونَزلُوا بِلادِى ، واخْتارُونى عَلَى مَنْ سِواىَ .

وإنِّى سأدْعُوهم ، وأتعرَّفُ عَلى أمْرِهم ، وأسْألهُم عمَّا يقُولُ هَذانِ الرَّسولانِ فى شأنِهِم ، فإنْ كانُوا كَما يقُولاَنِ أسْلمتُهُمْ إلَيْهِما ، ورَدَدْتُهم إلَى قومِهم ، وإنْ كانُوا علَى غَيرِ ذَلكَ منعتُهم مِنْهم ، وحافَظتُ عَلى جِوارِهم ، وعَملتُ عَلى رَاحتِهِمْ واستِقرارِهم بِبلادِى . مُدَّةَ إقامَتِهِم فِيها .

***

واخْتارَ الوُزراءُ فى أمْرِهم ، وأمْرِ رسُولَىْ قُريشٍ ، أمامَ رَغْبَةِ النَّجاشىِّ ، وإصْرارِه ، ولَم يَسَعْهم إلاَّ تَنْفيذ رَغْبتِهِ ، والاستِجابة لأمْرِهِ .

وأرْسَلوا إلَى المهاجِرينَ مِنْ أصْحاب مُحمدٍ سَلامُ الله عليهِ ، يدْعُونهُم إلَى مَجلسِ المَلِكِ استِجَابةً لدعْوَته .

فلمَّا جاءَ الرَّسولُ إلَى أئمةِ المهَاجِرين وعَرفُوا أنَّ النَّجاشىَّ يدْعُوهم إلَى مَجلسِه ، لمَناقَشتهِم ، والتَّعرُّفِ علَى أحْوالهِم اجتَمعوا وقالَ بعْضُهم لبعْضٍ :

– ما تقُولُون للرَّجلِ إذَا جِئْتموهُ ؟

فَردَّ واحدٌ مِنْهم وقالَ :

– نقُولُ لهُ ما نَعْلم مِنْ أمْرنَا ، وأمْرِ نبيِّنَا ، كائنًا فى ذلكَ ماهُو كائنٌ .

* * *

ثمَّ جاءُوا إلَى المَلِكِ ، فوجَدوهُ واقِفا ينْتَظرهُم ، وأسَاقِفتُه واقِفونَ حَولَه ، فقالَ لَهُم :

– ما هَذا الدِّينُ الَّذى فَارقتُم مِنْ أجْلهِ قومَكم ؟ ولماذَا لَم تدخُلوا فى دِينى ؟

فَتقدَّم جَعفرُ بنُ أبى طَالبٍ رَضِىَ الله عنهُ ، فقَالَ : أيُّها المَلِكُ ، كنَّا قومًا أهْلَ جَاهليَّةٍ ، نَعبدُ الأصْنامَ ، ونأْكلُ الميتَةَ ، ونأْتى الفَاحِشات ، ونَقْطع الأرْحامَ ، ونُسىءُ الجِوارَ ، ويأكلُ

القَوىُّ مِنَّا الضَّعيفَ ، فكنَّا عَلى ذلكَ حتَّى بَعثَ اللهُ إلينا رَسُولاً مِنَّا ، نَعرفُ نَسبهُ ، وصِدْقهُ ، وأمَانتهُ ، وعفَافه ، فدعانَا إلَى اللهِ ، لِنوَحِّدَهُ ونَعْبدهُ ، ونَخلَع ما نَعبدُ نَحنُ وآباؤنَا مِنْ دُونِه ، مِنَ الحِجارَةِ ، والأوْثانِ ، وأمَرَنا بِصدْقِ الحديثِ ، وأدَاءِ الأمَانةِ ، وصِلَةِ الرَّحمِ ، وحُسْنِ الجوارِ ، والكَفِّ عَنِ المحارِمِ والدِّمَاءِ ، ونَهانَا عَنِ الفَواحِشِ ما ظَهَرَ منها وما بطن ، وقولِ الزُّورِ ، وأكْلِ مالِ اليَتيمِ ، وقَذْفِ المحْصَنات ، وأمَرَنا أنْ نَعبدَ اللهَ وَحْده ، لا نُشركُ بهِ شَيئًا ، وأمَرَنا بالصَّلاةِ ، والزَّكاةِ والصِّيامِ .

فَصدَّقْناهُ ، وآمَنَّا بِه واتَّبعناهُ عَلى ما جاءَ بِهِ مِنَ اللهِ ، فَعبدْنا اللهَ وحْدَه ، فلَم نُشْرِكْ بِه شيئًا ، وحَرَّمْنا ما حَرَّم عَلَينا ، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لَنا ، فاعتَدى عَلينا قَوْمُنا ، فَعذَّبُونا ، ليردُّونا إلَى عِبادَةِ الأوْثانِ ، وإلَى أنْ نَستحِلَّ ما كنَّا نَرتَكبُ مِنَ الخبائثِ .

فلمَّا اشْتدَّ إيذاؤُهُم لنَا ، وظَلَمُونا ، وضَيَّقُوا عَلينا وحالُوا بَيْننا وبَيْنَ القِيام بَواجباتِ دِيننَا خَرَجنا مُهاجِرينَ إلَى بلادِكَ ، واختَرْناكَ عَلَى مَنْ سِواكَ ، ورَغِبْنا فى جِوارِكَ ، ورجَونا ألاَّ نُظْلَمَ عِندكَ أيُّها الملكُ .

نفذَ كلامُ جعفرٍ إلَى قلبِ الملكِ ، كما تَنْفذُ المياهُ العذْبةُ إلى الأرْضِ الخِصْبةِ ، وأُعجبَ النَّجاشيُّ بمبادِئ الدِّينِ الجديدِ ، الَّتي . ذَكَرها جَعفرٌ فى حَديثِه أمامَهُ ، وأخذَ يردِّد النَّظرَ ، تارةً فى المستَجيرينَ ، وتَارةً أخرَى فى رَسُولَى قُريشٍ ، وتَارةً ثالثةً فى بَطارقَتِه ، وهُمْ ناكِسو رُءوسَهُم .

ولكنَّه - عَلَى الرَّغمِ منْ إعْجابِه بكَلامِ جَعفرٍ - كتَم هَذا الإعْجابَ فى نَفْسِه ، واصْطَنع جِدَّ المُلوكِ ، وهَيبةَ مَجالسِهِم ، ثمَّ قالَ لجعْفرٍ :

- هَلْ مَعكَ ممَّا جَاءَ بهِ مِنْ عِندِ اللهِ شَئٌ ؟

قال جَعفرٌ :

- نَعَم ! وجَلسَ إجْلالاً وهَيْبةً ، ثمَّ قرأَ :

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ

مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾

* * *

واسْتمرَّ جَعفرٌ فى قِراءتِه فَقرأَ مِنْ سُورة مَريمَ قَدرًا كَبيرًا ، حتَّى إذَا انتهى مِنْ قِراءتِه بَكَى النَّجاشيُّ حتَّى بُلَّت لحْيتُه ، وبكَت أسَاقفتُه مِنْ حَولهِ .

ثمَّ قالَ النَّجاشيُّ :

– إنَّ هَذا والَّذِى جَاءَ بهِ عِيسى ليخْرُج مِنْ أصْلٍ واحِدٍ ، ثمَّ وجَّهَ كلامَهُ إلَى رَسُولَىْ قُريشٍ ، فَقالَ :

– انْطلقَا ، فَلا واللهِ لا أُسلِّمُهم إليْكُما أبدًا .

مَكيدةُ عمْرو بنِ العَاصِ

خَرجَ عبدُ الله وعَمْرو ، رسُولَىْ قُريشٍ ، يَجرَّانِ ذَيلَ الفَشَل ، مِنْ مَجلس النَّجاشيِّ بَعَد أنْ خذَلهمَا ، ولَم يَرضَ بتَسْليمِ أحدٍ مَن المهَاجِرين المسْلمينَ إليْهمَا ، وجَلسَ كلٌّ مِنْهما يُفكِّرُ فِيما يفعَل ، بَعَد ماردَّهُما النَّجاشيُّ عَنْ طَلبِهما ، وأجَابهمَا بمالا يتْركُ لَهما مُعاودةَ الكَلامِ فى هٰذا المَوْضُوعِ .

ولكنَّ عَمْرًا - صاحِبَ الحِيلةِ والمَكْر والدَّهاء - لَم يعْتَرفْ بالهزِيمَة ، وصَمَّم علَى مُواصَلة مَساعيه ، ونَصبَ حِبالَ مَكايدِه ، حتَّى ينالَ ما طَلَب ، ويَصلَ إلَى غَرضِه الذِى جَاءَ إلَى الحَبشَة مِنْ أجْلهِ .

وأعْمَلَ فِكْرهُ :

أينَ يُطعَنُ القَومُ فى دِينهِم ؟ وأيْن يُطْعُن النَّجاشيُّ فى هَيْبتِه ؟

وفكَّر عَمْرو ثمَّ فكَّر ، وأخيرًا اهتَدى إلَى فِكرةٍ شَيْطانيَّةٍ ، وهىَ أنَّ للدِّينِ الإسْلاميِّ رأيًا فى عِيسَى بن مَرْيم غَيْر الرَّأى الذِى يْعتَقدُه المسيحيُّ ، فِللْمُسْلِمِ رَأىٌ يُخالفُ رَأىَ المَسيحىِّ ، إذَنْ فَلْيَجعل مِنْ هٰذهِ المسْألةِ مَثارَ جِدالٍ وخِلافٍ بَينَ المهَاجرين

المسْلمينَ وبَيْنَ النَّجاشيِّ المَسيحيِّ وأساقِفتِه ، ولكنْ مِنْ أينَ يَبدأُ طَريقهُ ، ويَصِلُ إلَى غَرضه ؟

اجْتَمعَ مَعَ رَفيقِه فى رِحْلَتِه عَبدِ الله بنِ أبى رَبيعَة ، وذكَّرهُ بما فَعلَ النَّجاشىُّ مَعَهما ، وكَيفَ خَذلَهما ، وحَافظَ عَلى جِوارِ المسْلمينَ ، والإحْسانِ إلَيْهم ، ثمَّ قالَ :

– واللهِ لآتينَّه غدًا بآراءِ المسْلمينَ فيهِ ، وفى دِينهِ ، ثمَّ أرى مَاذا يَكونُ مِنْه ؟ واللهِ إنِّى لمُوقِنٌ أنَّه سَوفَ يقتُلُ المُسلمينَ عَنْ آخرِهم متَى عَرفَ ما يقُولُونه فى دِينِه ، وفى عِيسَى بن مَرْيم .

فقالَ لهُ عَبدُ الله :

– لا تفْعلْ ياعَمْرو ، لأنَّ لنَا بهؤُلاءِ المهَاجرينَ صِلةً وقَرابةً وهُمْ – عَلى أىِّ حَالٍ – مِنْ أهْلنَا وأخواتِنا .

قالَ عَمْرو :

– واللهِ لأخْبرنَّه أنَّهمْ يزْعُمون أنَ عِيسَى بنَ مَرْيم عَبدٌ ، كَسائِر عَبيدِ الله لا يمتَازُ عَلى غَيرِهِ مِنَ البَشَر .

فلمَّا أصْبحَ الصَّباحُ ذَهَب عَمْرٌو وعَبدُ الله إلَى المَلِك ، وطَلبَا أنْ يؤذَنَ لَهما بالدُّخولِ عَليهِ ، والمثُولِ بَينَ يَديهِ ، فأذِنَ لَهُما : فَتقدَّما فى احْترامٍ وإكْبارٍ ، ونَطَق عَمْرٌو فقال :

– أيُّها المَلِكُ ، إنَّ هؤلاءِ المسْلمِينَ يقُولونَ فى عيسى بنِ مَرْيمَ قَولا عَظيمًا ، فأرْسِلْ إليهِم . واسْألْهمْ عمَّا يقُولُونَ .

فأرْسَلَ النَّجاشىُّ إلَى المهاجِرينَ مِنَ المسْلمينَ ، وحدَّدَ مَوعدًا لاجْتماعِهِ بِهم .

* * *

علمَ المسْلمُونَ أنَّ النَّجاشىَّ يَطلُبهم ، فاجْتمعُوا ، ثمَّ قالَ بعضُهمْ لبعْضٍ :

– ماذا تَقولُونَ فى عِيسىَ بنِ مَرْيم إذَا سألكُم عنْه ؟

فقالَ واحِدٌ مِنْهم :

– نقُولُ ما قالَ الله ، وما جاءَ بهِ نبيُّنا ، كائنًا فى ذَلكَ ماهُو كائنٌ ، وليحْدُث ما يحْدُث .

فلمَّا دَخلُوا عَلى النَّجاشىِّ قال لَهم :

ماذَا تقُولُون فى عِيسَى بنِ مَرْيم ؟

فقال جَعفرُ بنُ أبى طَالبٍ :

– نقُولُ فيهِ الذِى جَاءنا بهِ نَبيُّنا مُحمدٌ ﷺ : إنَّه عبدُ الله ، ورَسُولُه ، وكَلمتُه ، ألْقاهَا إلَى مَريَم العَذْراء ورُوحٌ مِنهُ .

فمَدَّ النَّجاشىُّ بيدِهِ إلَى الأرْضِ ، فأخذَ مِنْها عُودًا ، ثم قالَ :

– واللهِ مَاجاوَزَ عِيسَى بنُ مرْيم مِقْدارَ هٰذا العُودِ ، إنْ هُو إلاَّ خَلقٌ مِنْ مَخْلوقاتِ اللهِ ،

فغَضِبَ الوُزراءُ ممَّا قاله مَليكُهُم ، وهَمْهَموا بكَلامٍ غَير مفْهومٍ ، وزَمْجروا ، إعْلانًا لسُخْطِهم ، ومُعارَضتِهم لما قالَ النَّجاشيُّ .

فالْتفَت إلَيهِمُ النَّجاشيُّ ، وقالَ :

– وإنْ غَضِبتُم !! ولَن يُغيِّر ذلك مِنَ الحقيقة شَيئًا .

ثمَّ وجَّه كلامَهُ للمُسْلمينَ فقَالَ :

– اذْهَبُوا ، فأنْتُم آمِنُون بأرْضِي ، مَنْ سبَّكُم غَرِم (وكَرَّرها ثَلاثَ مرَّات) .

ما أُحِبُّ أنْ يَكون لى جَبَلٌ مِنْ ذَهبٍ ، وأنِّى آذيْتُ رَجُلا مِنْكم ، رُدُّوا عَلَى هٰذَيْنِ الرَّسولَيْن هَدايَاهُما ، فَلا حَاجةَ لى بها ، فَواللهِ ما أَخَذَ اللهُ مِنِّى رِشوةً حينَ أعْطانى هٰذا المُلكَ .

فخَرَجَ رَسُولا قُريشٍ مِنْ عِندهِ ، مَخذُولَيْنِ كاسِفَيْن .

مَلِكٌ ذُو عَقِيدَةٍ

تَناقلتِ الحَبَشة أفْعَالَ مَلِكِها ، ومَا عَمله ممَّا كانَ سَبَبًا فى رَدِّ رَسُولَىْ قُرِيشٍ ، وامْتلأتِ البلادُ بالأخْبارِ ، بَعدَ المناقَشةِ الدِّينيَّة الَّتى جَرتْ بحُضُور النَّجاشيِّ ، ونَقلُوا آراءهُ إلَى كلِّ مَكانٍ ، وإلَى كُلِّ إنْسانٍ فى الحَبَشَةِ .

وأوْضَحُوا رَأْيَه فى عِيسَى بْن مَرْيم عَليهِ السَّلامُ ، وأَفَاضتِ المجَالسُ والمجْتمعاتُ فى هٰذا الحَديثِ ، بَعد الجَلسَة ، الَّتى عَقَدها الملكُ ، وجَمعَ فِيها بَيْن المهَاجِرينَ المسْلمِينَ ، ورَسُولى قُرِيشٍ .

❋ ❋ ❋

واسْتَمعُوا لرَأْى الوُزَراء الذينَ حَضُروا هٰذه الجَلْسَة وعَرفُوا مَا كانَ مِنْ إنْكارِهمْ ، وزَمْجرتِهم ، وعَدمِ رِضَائِهم عَنْ آراءِ الملكِ فى هٰذهِ المنَاقَشةِ الدِّينيَّة .

واسْتقرَّ رَأىُ الأحْبَاش عَلى أنَّ المَلِكَ جَاوزَ حُدودَ الدِّينِ ، وخَرجَ عَلى ما ثَبتَ فى أذْهانِ قَومِهِ مِنْ عقَائِدَ ، ومَبادئَ .

فذهَبَ إليهِ زُعماؤُهُم ، وكِبارُهُم ، ولمَّا صارُوا عِندَهُ قالُوا لَه :

– قَدْ فارَقتَ دِينَنا ، وخَرجْتَ عَلى عَقيدَتَنا ، وطاوَعْتَ المسْلمينَ الفَارّينَ عَلى آرائِهِم ، فَلَيس لكَ عَلينَا طاعةٌ بَعْدَ اليَومِ .

ثمَّ قامَتِ الثَّورةُ عَليهِ ، وظَهَرت فى البِلادِ أماراتُ الفِتْنَةِ ، وعَلاماتُ الكَراهيَة للمَلِك .

فأرْسَلَ النَّجاشيُّ إلَى جعفرِ بْن أبى طَالبٍ وأصْحابهِ مِنَ المسْلمِينَ ، فأحْسَنَ لِقاءَهُم ، وشَدَّ فى عَزِيمَتِهِم ، وهَيَّأَ لَهم سُفُنًا ، يرْحَلون فِيها مِنَ الحَبَشَة ، حتَّى لا يُصابُوا بأذَى أوْ مَكروهٍ .

ثم قالَ لَهمْ :

– ارْكَبوا فِيها ، وكُونُوا ثَابتِينَ ، صَابرينَ ، فإنْ هُزِمتُ فامْضُوا إلَى حَيثُ شِئْتُم ، وإنِ انْتَصرتُ ، وظَفِرتُ فاثْبتُوا .

***

ثمَّ جاءَ بكتابٍ ، فكَتَبَ فيه :

إنَّهُ يَشْهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحمدًا عَبدُهُ ورَسُولُه ويشْهدُ أنَّ عِيسى بنَ مريم عَبدُهُ ورسُولُه ، ورُوحٌ مِنهُ ، وكَلمتُه ، ألْقاهَا إلىَ مرْيم .

لَفَّ هَذا الكِتابَ ، وجَعَله فى قُبائِه [جُبَّتُهُ] ، ثمَّ خَرجَ إلى أهْلِ الحَبَشَةِ الثَّائِرِينَ فقال :

– يامعْشرَ الحَبَشَةَ ، ألسْتُ أحَقَّ النَّاسِ بكُم ؟

قالُوا : بَلى .

قال :

– فكيفَ رَأيتُم سِيرَتى فِيكُم ؟

قالُوا : خَيْرَ سِيرةٍ .

قال : فَما لَكُم ؟

قالُوا :

فارقْتَ دِينَنا ، وزَعَمْتَ أنَّ عِيسَى عَبْدٌ .

قال :

– أُشْهِدُ الله أنَّ عِيسَى بنُ مَرْيمَ .

ثمَّ سَكتَ المَلِكُ ، ولَمْ يَزِدْ عَلى ذَلكَ شَيْئًا وإنَّما كانَ فى هَذهِ الشَّهادَةِ يُشيرُ إلَى عَقيدَتِه ، الَّتى سَجَّلها بخَطِّه ، فِيما كَتَبهُ ، ووضَعه فى قُبائِه (جُبَّته) .

هَدأَ الثَّائرونَ ، واطْمأَنُّوا إلَى أنَّ النَّجاشيَّ لَم يَكْفرْ بعيسَى بْنِ مَرْيم ، ولَم يَخْرجْ عَلى عَقيدَتهِم الَّتى تَوارَثُوها عَنْ آبائِهِم وأجْدَادِهم ، وانْصَرفُوا .

* * *

ولمَّا بَلغَ النَّبيَّ ﷺ ما فَعلهَ النَّجاشيُّ أثْنَى عليهِ ، وذَكَرَ كَرَمهُ ، وحُسْنَ مَعْروفِه .

ولمَّا مَاتَ ، وعَرفَ النَّبيُّ خَبرهُ صلَّى عَلَيهِ صَلاَةَ الغَائبِ ، واسْتَغْفر لَهُ .